الاستلزام الحواري وطاقاته الحجاجية

في حوار موسى صلي اللّه عليه وسلم مع فرعون

(سورة الشعراء: 10-31)

(مقاربة تداولية بلاغية)

دكتور

أحمد علي عبد العزيز يوسف

مقدمة

التداولية ثالثة علم العلامات عند (موريس) وأصبحت محل اهتمام الدرس اللساني بعد أن كانت ترمي بأنها سلة المهملات اللسانية.

واستطاعت التداولية عبر آلياتها المختلفة أن تفتح على النص ما يساعد في فهمه وتحليله وكشف عناصر التأثير فيه بعد إغلاق البنيوية.

والاستلزام الحواري واحد من آليات الدرس التداولي التي تبرز الخلفية المشتركة بين المتحاورين، ويساعد في كشف المقاصد.

والنظرية اللغوية أشبه ببذرة محفوظة إذا بذرت في أرض التطبيق أثمرت وآتت أكلها ضعفين، وإلا تلفت من طول المكث أو يصيبها البوار.

واجتهدت في هذه الدراسة أن انتقل بالنظرية من حيز التنظير إلى حيز التطبيق على نموذج قرآني يبرز النظرية، ويكشف بآلياتها عن خفايا الحوار ببعديه الاستلزامي والحجاجي من خلال حوار موسى – عليه السلام – مع فرعون في (سورة الشعراء 10-31).

وارتضيت ما رضيه القرآن، ولم أشأ أن أخرج عليه، فبقيت مع الحوار في سورة الشعراء لم أبرحه، وإن كان حوار موسى – عليه السلام – مع فرعون منثوراً في مواضيع كثيرة في القرآن.

ولكن ما نجمه القرآن لا أجمعه؛ وإنما أستظهر جمالياته في موطنه لتحقيق هدف خاص يتسق مع مقاصد السورة.

وجاءت المعالجة في مبحثين:

الأول: الإطار النظري ويشمل تعريفاً بالتداولية، ومناقشة أهم قضاياها ومفاهيمها بإيجاز شديد.

ثم عرفت بالاستلزام الحواري من خلال شرح نظرية المحادثة والمبدأ العام في الحوار، ثم ما يتفرع عنه من مسلمات، ثم بينت كيف يتم الخرق الذي ينتج عنه الاستلزام الحواري.

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي، وجعلته في مبحثين: الأول: الحوار ...

ثم المنزع الحجاجي للاستلزام الحواري، مبرزاً إستراتيجية طرفي الحجاج، والسلم الحجاجي عند كليهما.

ورأيت أن الوصف والتحليل يبرزان مقاصدي ويحققان الغاية التي أرجو فاتخذتهما سبيلاً في البحث.

ولعلي بذلك أكون قد وضعت قدماً على طريق إظهار تجليات التداولية في إطارها التطبيقي.

د/ أحمد علي عبد العزيز يوسف

أولاً: الإطار النظري

أ– التداولية

يعد (موريس) أول من أعطى تعريفاً للتداولية؛ حيث اعتبرها جزءاً من السيمائية عندما ميز بين ثلاثة فروع للسيمائية هي:

1- التركيب (النحو) (Sintaktik)

ويعني به دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات.

2- الدلالة (Semantik)

ويعني بها دراسة علاقة العلامات بالأشياء.

3- التداولية (Pragmatik)

ويعني بها دراسة علاقات العلامات بمؤوليها[1].(interpreters)

تعريف التداولية:

لمصطلح التداولية ارتباط بالكلمة الإغريقية (Pragmaticos) واللاتينية (Pragmaticus) ومبناها على الجذر (Pragmg) ومعناها الفعل (Action)، ومدلولها في الثقافتين الفرنسية والإنجليزية يعني "عملي" وتقترن بهذا المصطلح المعاني الآتية: مادي، محسوس، ملائم للحقيقة[2].

([1]) نواري سعودي، في تداولية الخطاب الأدبي، المباديء والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص18.

([2]) ينظر في ذلك: نواري سعيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، ص18، وفيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة،، ط أولى 2007، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ص17.

أما في المعاجم العربية؛ فإنها تعني "العقبة والدوران. فقالوا: تكون العقبة في؛ المال والحرب .... يقال: كانت لنا عليهم الدولة في الحرب، والدولة في المال، ودالت الأيام، أي: دارت"[1].

ونظراً للتداخل الشديد بين التداولية وغيرها، واتساع مجالات التداولية وتنوعها فمن العسير وضع تعريف جامع مانع لها.

وقد استطاع عدد من الباحثين أن يقدموا تعريفات كثيرة للتداولية، منها:

1- دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف لم تكون مجموعة من الجمل شاذة تداولياً، أو تعد في الكلام المحال.

2- التداولية هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية.

3- هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية.

4- وأوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال[2].

وعرفها (ديوي) John Dewey: "التداولية هي النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة ومواردها إنما تتخذ في حدود الاعتبارات العملية أو الفرضية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة"[3].

وعرفها (فان ديك) (Van Dik) من خلال وظيفتها وعملها فقال:

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دول).

([2]) نحلة، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 2002، ص 11-16.

([3]) محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984، ص41.

"التداولية بوصفها علماً يهتم بتحليل الأفعال اللغوية، ووظائف المنطوقات اللغوية، وسماتها في عملية الاتصال بوجه عام انطلاقاً من كون المنطوقات اللغوية تهدف إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي[1].

ويمكن أن نعرفها بأنها "دراسة اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب، تقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب، للوصول إلى المعنى، وإحداث الأثر المناسب بحسب قصد صاحبه، وتبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب، وملاءمته للموقف التواصلي الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له"[2].

مصادر الدرس التداولي:

"ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه، ولكن تنوعت مصادر استمداده، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه، فـ "الأفعال الكلامية" مثلاً مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليلية بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، وكذلك مفهوم "نظرية المحادثة" الذي انبثق من فلسفة (بول جرايس)، وأما نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي، وهكذا ....."[3].

وقد ساوى الفيلسوف والمنطقي (كارناب) بين التداولية والسيمائية الوصفية.

([1]) ينظر: فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2000، ص292.

([2]) باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، العدد السابع، 2011، ص159.

([3]) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط أولى 2005، ص17.

الاهتمام بالدرس التداولي:

1- لقد كان تعريف (موريس) محفزاً وسبباً للنهوض بمجموعة من الدراسات تضمنت دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام، أو داخل اللغة بشكل خاص، ودراسة التصورات التجريدية التي تشير إلى الفاعلين (أحد مفاهيم كارناب) ودراسة المفردات التأثيرية والدراسات الأنجلوأمريكية في اللسانيات وفلسفة اللغة"[1].

2- وقد بدأ الاهتمام بالتداولية باعتبارها رد فعل على معالجات (جومسكي) للغة بوصفها أداة تجريدية أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال عن استعمالاتها ومستعمليها.

3- لم تستطع الدراسات البنيوية أن تتعامل مع ظاهرة معينة ذات أهمية بالغة في فهم المقصود.

فقد اتجهت معظم التفسيرات اللسانية لتكون داخلية، بمعنى أن السمة اللغوية تفسر بالإشارة إلى سمة لغوية أخرى، أو إلى جوانب معينة من داخل النظرية، وظهرت الحاجة إلى تفسير ذي مرجعية خارجية، وهنا ظهرت الحاجة للتداولية.

وإذا كانت الدراسات البنيوية منغلقة على البنية المجردة لموضوع العبارة؛ فإن الدراسات التداولية أخذت في الحسبان دراسة هذه البنية لإنجاز العبارة، أي الحث على تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة، يمكن أن تدعوها تأويلاً تداولياً للعبارة.

([1]) عادل الثامري، التداولية واللسانيات ص10.

وبعبارة جامعة: "إذا كانت الألسنية مع دوسوسير والبنيوية مع رولان بارث، وليفي ستراوس وميشال فوكو، والشكلانية الروسية مع باختين وتودوروف وجاكبسون وبوروب تنظر إلى اللغة كبناء وكعلاقات لا علاقة لها بالمتكلم، وتتناولها في بعدها التزامني لا التعاقب التاريخي، فإن التداولية تعيد الاعتبار للمتكلم وللكلام والسياق، أي بعد اللغة الخارجي، أي أولوية الإنجاز على المفهوم، والتحقق على البناء"[1].

4- وتهتم التداولية بدراسة السبب في نجاح المشتركين في المواقف الكلامية في التخاطب والتحادث مع بعضهم.

والفكرة الأساسية هي أن المتحادثين يتبعون مبادئ محددة في مشاركتهم، وذلك من أجل استمرار المحادثة[2].

أبرز المفاهيم التداولية:

اهتمت التداولية بدراسة الخطاب بآليات مختلفة، أبرزها:

1- الإشاريات (deixis):

وهي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه"[3].

وتنقسم الإشاريات إلى أنواع هي:

([1]) يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر، العدد العاشر، 2014، ص105، بتصرف قليل.

([2]) باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، العدد السابع، 2011، ص 162-164 ملخصاً.

([3]) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطا بمقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004، ص81.

أ- الإشاريات الزمانية:

وهي كلمات تدل على زمن يحدد السياق بالقياس إلى زمن التلفظ.

ب- الإشاريات المكانية:

وهذه العناصر تشير إلى الأماكن، وتعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، والمعروف لدى السامع.

ج- إشاريات الخطاب:

وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، مثل (مهما يكن من أمر، لكن، بل، ....).

د- الإشاريات الاجتماعية:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو غير رسمية، والأولى يدخل فيها صيغ التبجيل فتشمل الألقاب، والثانية تشمل النداء بالاسم المجرد.

هـ- الإشاريات الشخصية:

والمقصود بها ضمائر الحاضر[1].

(1) نحلة، آفاق البحث اللغوي، ص17.

2- **الافتراض المسبق** (Presupposition):

يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطب على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، وينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، فإذا قال شخص لآخر: أغلق النافذة. فالمفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة.

وميز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقة:

الأول: هو المنطقي أو الدلالي: ويستلزم أن تكون الجملتان (الجملة المحكية، والجملة المفترضة) صحيحتين.

الثاني: وهو التداولي: فلا دخل له بالصحة من عدمها[1].

3- **الأفعال الكلامية**: (Speech acts):

وأفعال الكلام هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب بجملة يعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل.

وأفعال الكلام تقتضي لتحقيقها توفر شرطين: (الاستعمال المناسب للغة، والمعرفة اللغوية).

أي أن أفعال الكلام تتحقق من خلال استعمال اللغة وفق قواعد معينة، وهي كما يرى (أوستين) مركب من ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

([1]) ينظر في ذلك: محمود أحمد نحلة، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، دار التوني للطباعة والنشر، الإسكندرية 1987 ص81، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26، وما بعدها، التداولية عند العلماء العرب، ص30 وما بعدها.

- فعل الكلام.
- الفعل الإنجازي.
- الفعل التأثيري.

4- الاستلزام الحواري

وسأفصل القول فيه في مكانه.

مهام التداولية

تتلخص مهام التداولية في:

1- دراسة اللغة أثناء التلفظ بها في السياقات والمقامات المختلفة.

2- دراسة شروط نجاح العبارات، وصياغة شروط ملائمة الفعل لإنجاز العبارة، ومدى ملائمة كل ذلك لبني الخطاب ونظامه.

3- النظر في ترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي مع بنية الخطاب وتأويله.

4- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

5- بيان كيف يمكن للتواصل الضمني (غير الحرفي) أن يكون في الاستعمال أفضل من التواصل الحرفي المباشر.

6- تجيب على تساؤلات تطرح نفسها بقوة، مثل: "(ما نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ....."[1].

وغير ذلك

([1]) يراجع في ذلك: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص26 وما بعدها، باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، ص162، 163، فان دايك، السياق والنص، ص292 ...

ب - الاستلزام الحواري (Conversational implicature)

هو واحد هن أهم مبادئ التداولية، وتعود نشأته إلى المحاضرات التي ألقاها (بول جريس) (HP Grice) عام 1967م في إطار بحث له بعنوان: "المنطق والمحادثة" (Logic and Conversation)، ترجم إلى لافرنسية في مجلة (Communication) ونشر في دار Senil سنة 1979م.

وتتمثل الفكرة الأساسية في أن المتخاطبين عندما يتحاورون إنما يقبلون ويتبعون عدداً معيناً من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل، والمبدأ الأساسي هو مبدأ التعاون"[1].

وفيه يستعمل المتكلم آلية لا يرتبط فيها اللفظ والقصد برابط لغوي؛ بل يرتبط ببيان القصد على إسهام عناصر السياق الموظفة، فالمتلقي لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن، وأضرب الاستدلال العقلي، كأن يرد المخاطب على السائل رداً لا يصلح حرفياً أن يكون جواباً عما سئل عنه في مقام التعريض، وهو المصطلح عليه بالاستلزام الحواري"[2].

وقد نشأت هذه الفكرة عند (جرايس) نتيجة لتفرقته بين المعنى الصريح للجملة، وبين ما تحمله من معنى متضمن فيها، وهو بذلك يفرق بين نوعين من الاستلزام الحواري وهما:

- **الاستلزام العرفي**: وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها، لا تنفك عنها مهما اختلف بها السياق، وتغيرت التراكيب.

([1]) ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى فوجمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، ط أولى، 2007، سورية، ص84.

([2]) نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة التراثية، مجلة اللغة والأدب، عدد 17، ص199.

- **الاستلزام الحواري**: وهو يتغير بتغير السياق الذي يرد فيه، فحين يقال: كم الساعة ؟ فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون سؤالاً، وقد يكون توبيخاً للتأخر[1].

وقد تساءل (جرايس) في إمكانية أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر، ثم كيف يمكن أيضاً أن يسمع المتلقي شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ فكانت نتيجة هذا التساؤل أن وضع (جرايس) مفهوم مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام يقول: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار بما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"[2].

وقد تفرع عن هذا المبدأ المبادئ التالية:

- **مبدأ الكم (Quantity)**: يجب أن يكون الحوار مناسباً من غير زيادة أو نقصان.
- **مبدأ الكيف (Quality)**: لا ينبغي قول ما هو غير صحيح، أو ما ليس فيه دليل عليه.
- **مبدأ المناسبة (Relevance)**: مناسبة الكلام للموضوع.
- **مبدأ الطريقة (Manner)**: أي الوضوح والتحديد مع تجنب الغموض واللبس والقيام بالإيجاز وترتيب الكلام[3].

([1]) نحلة، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ص33.

([2]) ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص81.

([3]) آن روبول ، جاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، ط1، بيروت، 2003، دار الطليعة، ص55.

هذه المبادئ تعد بمثابة دعائم للحوار السليم في شكله الطبيعي، وبخرق هذه القواعد الأربع تحصل ظاهرة الاستلزام الحواري.

"وإذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك، المخاطب اليقظ ذلك، وسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك، ولنضرب أمثلة توضح ذلك:

1- في حوار يجري بين أم (أ) وولدها (ب)

أ- هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

ب- اغتسلت.

في هذا الحوار خرق، أو انتهاك لمبدأ الكم؛ لأن الأم سألته عن آمرين، فأجاب عن واحد، وسكت عن الثاني، أي أن إجابته أقل من المطلوب.

ويستلزم هذا أن تفهم الأم أنه لم يضع ثيابه في الغسالة، وأنه لم يرد أن يجيب بنعم حتى لا تشمل الإجابة شيئاً لم يقم به، ولم يرد أن يواجهها بتقاعسه عن وضع ثيابه في الغسالة"[1].

2- في حوار بين تلميذ (أ) وأستاذ (ب) وكلاهما إنجليزي:

أ- طهران في تركيا، أليس هذا صحيحاً يا أستاذ؟

ب- طبعاً، ولندن في أمريكا!

(1) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص36، نقلاً عن Lyons, Jevn

في هذا الحوار انتهك الأستاذ مبدأ الكيف الذي يقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه، وألا يقول ما لا دليل عليه، وقد انتهكه الأستاذ عمداً ليظهر للتلميذ أن إجابته غير صحيحة، ويؤنبه على جهله بشيء كهذا، والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ؛ لأنه يعلم أن لندن ليست في أمريكا، وذلك يستلزم أن الأستاذ يقصد بقوله شيئاً غير ما تقوله كلماته، وهو أن قول التلميذ غير صحيح[1].

3- في حوار بين الأستاذين (أ) و (ب):

الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

فالجملة إن الطالب (ج) ..... تستلزم حوارياً معنى العبارة: ليس الطالب (ج) مستعداً لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؛ لأنها خرق للقاعدة الثالثة قاعدة الملائمة (أو المطابعة) ذلك أنها جواب غير ملائم للسؤال المطروح "هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته ....."[2].

4- في حوار بين رجلين:

أ- أين أجد محمداً؟

ب- قم إلى آخر الشارع واصعد العمارة رقم 15 وتوجه إلى الطابق الثالث واتجه نحو اليمين ستجد المكتب رقم 4 ستجده هناك.

في هذه الإجابة خرق لمبدأ الطريقة؛ لأنه راوغ في الإجابة وأطال واستطرد، وكان يكفيه أنه في المكتب.

([1]) السابق.

([2]) ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص34.

كما قسم (جرايس) الجمل من حيث حمولتها الدلالية إلى:

1- المعاني الصريحة: وهى المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي:

أ- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة المؤشرة لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما، كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء، والإثبات، والنفي ..... الخ

2- المعاني الضمنية: وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة؛ ولكن للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل:

أ- معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلا، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

ب- معاني حوارية: وهي التي تتولد طبقاً للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل: الدلالة الاستلزامية[1].

مثال توضيحي:

هل إلى مرد من سبيل؟

المعنى الصريح للجملة يتكون من محتواها القضوي في أصل التركيب، هل من سبيل إلى مردنا؟ بإسناد الخبر إلى المبتدأ، فيكون المعنى القضوي الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى.

([1]) السابق، ص35.

وأما قوتها الإنجازية الحرفية فمؤشر لها بحرف الاستفهام "هل"، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي (الرجوع إلى الحياة الدنيا) إلى قوتها الإنجازية. "الاستفهام" والمؤشر له بـ "هل".

والمعنى الضمني يتألف من معنيين:

أ- معنى عرفي هو الاقتضاء، أي اقتضاء حالهم الرجوع على الحياة الدنيا.

ب- معنى حواري استلزامي، وهي تمني المتكلمين من المخاطبين أن يردوهم .....

خواص الاستلزام الحواري عند (جرايس)

للاستلزام الحواري عند (جرايس) خواص تميزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى، منها:

1- الاستلزام ممكن إلغاؤه، ويكون ذلك بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتب مثلاً: لم أقرأ كل كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها: الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها، فقد ألغت الاستلزام.

2- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، فهو متصل بالمعنى لما يقال لا بالصيغة التي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات أخري ترادفها.

3- الاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، مثل أن يقول رجل سرق متاعه يوم العيد: تلك أفضل هدية. ومن الممكن أن يقول تلك العبارة رجل تلق رسالة من صديق قديم يوم العيد، فتحمل معنى مختلفاً.

4- الاستلزام يمكن تقديره: أي أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة بخطوة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام[1].

([1]) ينظر: نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 38، 39.

ثانياً: الإطار التطبيقي

أ) الحوار والاستلزام الحواري

تبدأ الأحداث بتمهيد يؤطر القضية، ويبرز أطراف الحوار، وملامح الشخصيات المتحاورة.

قال تعالى: (وإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ) [الشعراء: 10، 11].

ففيه تكليف بالرسالة (وإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى ....)؛ لأن جملة (أَنِ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ) تفسير لجملة (نَادَى)"[1].

وفيه كذلك صفة القوم المعنيين بالإبلاغ (القَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ) سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين، ثم عطف عليهم عطف البيان، كأن معنى (القَوْمَ الظَّالِمِينَ) وترجمته (قَوْمَ فِرْعَوْنَ)، وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ....

وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين: من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم، ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل"[2].

ووصفهم بذلك يحفز موسى – عليه السلام – لإبلاغهم، وليتهيأ نفسياً لردود أفعالهم، فهم ظالمون.

وزيادة في تعجيب موسى – عليه السلام – من أمرهم، وإثارته لتبليغهم قال: (أَلا يَتَّقُونَ) ألا يخافون الله؟ ألا يرجعون عن ظلمهم وغيهم؟

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، طبعة خاصة المجمع الثقافي، أبو ظبي 153/19.

([2]) الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار الفكر 106/3.

وإضافة القوم إلى فرعون (قَوْمَ فِرْعَوْنَ)؛ يبرز الارتباط الوثيق بينهم وبينه، كما يشي بسببية فرعون عن هذا الظلم، وكذلك شهرته به.

الافتراض المسبق: (Presupposition)

الافتراضات المسبقة من العناصر التي تسهم في اختيار إستراتيجية الخطاب"[1].

فالمتكلم يبني خطابه على أساس ما يفترض سلفاً أنه معلوم لدى السامع، ويبني إستراتيجيته الإقناعية في حدود ما يعرف عن المخاطب من نقاط القوة والضعف، وهو ما جعل موسى – عليه السلام – يبحث عن نقاط ضعفه المحتملة، والشبهات المفترضة التي يمكن للخصوم إثارتها فألقى بمخاوفه بين يدي ربه قبل نزاع المناظرة (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (12) ويَضِيقُ صَدْرِي ولا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ (13) ولَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (14)) [الشعراء: 12: 14].

فلم يكن أمر فرعون وملئه جديداً على موسى – عليه السلام – فهو يعرفه، ويعرف ظلم فرعون وعتوه وجبروته، ويدرك أنها مهمة ضخمة، وتكليف عظيم، ومن ثم يشكو إلى ربه ما به من ضعف وقصور، لا ليتنصل أو يعتذر عن التكليف؛ ولكن ليطلب العون والمساعدة"[2].

فهي ثلاث علل يخشاها موسى — عليه السلام-: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان.

وهذه الثلاث متعلقة بآنية الإبلاغ، وحاضرة بقوة في المناظرة.

([1]) بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص78.

([2]) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 1406هـ- 1986م، 2589/5.

أما خوف القتل؛ فليس من جملتها؛ لأن القتل إذا حدث أولاً فلن يستطيع موسى – عليه السلام – أن يبلغهم، وإذا حدث مؤخراً فإن البلاغ يكون قد تم.

ومن هنا فإن موسى – عليه السلام – يتحدث عن عوائق حاضرة في عملية المناظرة.

اقترح أن يشد عضده بأخيه هارون – عليه السلام – (فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ) ليكون معي، وأتعاضد به في تبليغ الرسالة.

رتب – عليه الصلاة والسلام – استدعاءه ذلك على الأمور الثلاثة: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وازدياد ما كان فيه – عليه الصلاة والسلام – من حبسة اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطق ....."[1].

فاستدعاؤه هارون اتقاء للتقصير في أداء التكليف، واستجماعاً لكل أسباب المظاهرة لإنجاح المهمة.

أو بعبارة أخرى: إنه يريد المؤازرة استعداداً للمواجهة.

وفي قوله: (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) تعريض بسؤال النصر والتأييد، وأن يكفيه شر عدوه حتى يؤدي ما عهد الله إليه على أكمل وجه"[2].

وكانت الإجابة سريعة ومطمئنة (قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17)) [الشعراء: 15: 17].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 236/6.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير 107/19.

قال الزمخشري: "جمع الله له الاستجابتين – معاً في قوله: (قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا)؛ لأنه استدفعه بلاءهم، فوعده الدفع بردعه عن الخوف، والتمس منه المؤازرة بأخيه فأجابه بقوله: (فَاذْهَبَا)"[1].

وزيادة في المؤانسة والثقة وعدهم المعية والاستماع المشعر بالحفظ؛ ليأمنوا مكر الأعداء ولذلك قال: (إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ).

"فالصحبة المقصودة هنا هي صحبة النصر والتأييد، فهو يرسمها في صورة الاستماع الذي هو أشد درجات الحضور والانتباه، وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة. وذلك على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير"[2].

(مَعَكُم)، (مُّسْتَمِعُونَ) خبران لأن، أو يكون (مُّسْتَمِعُونَ) الخبر والظرف (مَعَكُم) متعلق به، قدم للاهتمام، أو للاختصاص. وهو تعليل للردع عن الخوف.

والخطاب بالجمع (مَعَكُم) يتضمن البشارة بالإشارة إلى علو أمرهما، وإتباع القوم لهما[3].

وقيل الجمع من وضع الجمع موضع المثني، أي معكما"[4].

والأول أرجح، فما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير.

([1]) الزمخشري، الكشاف 107/3.

([2]) سيد قطب، في ظلال القرآن 2590/5.

([3]) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت/ د. السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ، 2005م، 88/10.

([4]) أبو حيان، يوسف بن محمد، البحر المحيط، ت مجموعة من الأساتذة، دار الكتاب العلمية، ط1، 1422هـ، 2001م، بيروت، لبنان، 9/7.

(فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ) هو بذلك يحدد الطرف الثاني في الحوار، وهو (فِرْعَوْنَ)، ويحدد موضوع المحاورة (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ) الرسالة وتوحيد الربوبية.

وأفرد الرسول هنا؛ لأنه مصدر بحسب الأصل، وصف به كما يوصف بغيره من المصادر للمبالغة .... أو لاتحادهما للأخذة، أو لوحدة المرسل، أول المرسل به"[1].

وأرى أن توحد الضمير يشعر بالقوة في مواجهة فرعون.

وفي التعبير بـ (رَبِّ العَالَمِينَ) تعريض لطيف ينفي الربوبية عن فرعون، ونقض لقوله: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) [النازعات: 24]، وحمل لطيف على امتثال الأمر دون مكابرة.

قوله: (أَنْ أَرْسِلْ) يجوز أن تكون مفسرة لـ (رَسُولُ) إذا قيل: بأنه بمعني الرسالة، ويجوز أن تكون المصدرية، أي: رسول بكذا".

قوله: (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) بمثابة علة ثانية للرسالة تضاف إلى وحدة الألوهية والربوبية لله رب العالمين"[2].

وينقلنا السياق من مشهد التكليف بالرسالة إلى مشهد المحاورة والمواجهة، وقد أضمر القرآن ما بدأ به مع موسى – عليه السلام – وهو نفسه الذي كلف به، فأغنى عن إعادته مرة أخرى؛ لكونه مفهوماً من السياق.

([1]) الألوسي، روح المعاني 88/10.

([2]) ينظر: ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419، 1998م، 12/15، 13.

قال الزمخشري: "حذف: فأتيا فرعون فقالا له ذلك؛ لأنه معلوم لا يشتبه"[1].

وأفهم من عدم إعادة القول تقرير ما تحليا بهما من أمانة التبليغ، وصدق القول كي يقر في قلب الناس صدق الرسل، فهذا أشهر من أن يذكر، وأعرف من أن يعرف.

وفيه حسن انتقال من مشهد التكليف إلى مشهد التبليغ، فتغير أطراف المحاورة، وتغير مكانها، ولم يتغير مضمون الرسالة.

فرعون يرد (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [الشعراء: 18، 19].

وفي كلام فرعون خرق للحوار من ثلاث جهات:

أولاً: من جهة الملاءمة: إذ إن إجابة فرعون لا تتسق مع مطلب موسى – عليه السلام-.

ثانياً: من جهة الكم؛ فقد كان كلام فرعون أطول وأطنب، وكان الأجدر به أن يكون أقصر وأوجز.

ثالثاً: من جهة الكيف في قوله: (وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)؛ وفرعون يعلم أن موسى – عليه السلام – لم يكن يوماً من الأيام كافراً.

جملة (وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يجوز أن تكون حالاً، أي: قتلته وأنت إذ ذاك من الكافرين. فافترى فرعون بنسبة هذا الحال إليه إذ ذاك، والأنبياء – عليهم السلام- معصومون.

([1]) الزمخشري، الكشاف 108/3.

ويجوز أن يكون إخباراً مستأنفاً من فرعون، حكم عليه بأنه من الكافرين بالنعمة التي لي عليك من التربية والإحسان"[1].

والأول أرجح لمناسبة رفض دعوة التوحيد الذي جاء به موسى- عليه السلام-، ثم إن رد موسى – عليه السلام- بقوله: (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) [الشعراء: 20] فند بها الاتهام بالكفر. فهو جهل ما قبل الرسالة، وليس كفراً.

وخرق مسلمة "الكيف" هنا جاء من قبل أن فرعون يعلم بأن موسى – عليه السلام- لم يكن يوماً من الأيام كافراً، وفرعون مدرك، أنه يتهم موسى – عليه السلام – ويفتري عليه بما ليس فيه.

ومن عجيب أمر فرعون أنه ارتكز على مؤشر الاستفهام (أَلَمْ) بقصد إقرار موسى – عليه السلام – بذلك؛ ليظهر موسى – عليه السلام – في صورة الناكر للجميل، والكاذب في قوله، والمتناقض مع نفسه؛ إذ جاء بفكرة كان حاله مخالفاً لها.

كما أن فرعون أراد أن يكون موقفاً سلبياً لدى جمهور الناس؛ حتى لا يتأثروا بما يدعو إليه موسى – عليه السلام-.

وهي مغالطات وشبهات فندها موسى – عليه السلام – بقوله: (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وجَعَلَنِي مِنَ المرْسَلِينَ (21) وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22)) [الشعراء: 10: 22].

([1]) أو حيان، البحر المحيط 10/7.

وقول موسى – عليه السلام – هذا:

– فيه دفع للشبه وتفنيد لها، فقد اعترف بقتل النفس؛ بسبب الجهل، واندفاع العصبية لقومه، لا اندفاع العقيدة التي عرفها (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ).

"وقدم (فَعَلْتُهَا) على (إذًا) مبادرة بالإقرار ليكون كناية عن عدم خشيته من هذا الإقرار"[1].

والمتأمل في كلام موسى – عليه السلام – يجد أنه قد فصل في شيء لم يسأل فرعون عنه: (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وجَعَلَنِي مِنَ المرْسَلِينَ).

وفيه خرق لمسلمة "الكم" فهي زيادة قصد بها إثبات نبوته.

– وانتقل من الدفاع إلى الهجوم حين قال: (وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ).

قوله: (وتِلْكَ نِعْمَةٌ) إشارة إلى النعمة التي اقتضاها الامتنان في كلام فرعون؛ إذ الامتنان لا يكون إلا بنعمة"[2].

وفيه دفع وهجوم على فرعون؛ إذ إنه عبد بني إسرائيل وأذلهم.

وهذا يفهم في إطار أن التنغيم في (تِلْكَ) يؤدي معنى الإنكار، أي إن ذلك القول من موسى – عليه السلام – إنكار للنعمة التي يزعمها فرعون، بتقدير همزة الإنكار"[3].

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير 113/19.

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير 115/19.

([3]) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم 238/6.

فكلام موسى – عليه السلام – "نقض لامتنان فرعون بقلب النعمة نقمة، بتذكيره أن نعمة تربيته ما كانت إلا بسبب إذلال بني إسرائيل؛ إذ أمر فرعون باستئصال أطفال بني إسرائيل الذي تسبب عليه إلقاء أم موسى بطفلها في اليم، حيث عثرت، عليه امرأة فرعون ..."[1].

والمتأمل في اتهامات فرعون وردود موسى – عليه السلام – يلحظ اختلافاً في ترتيب الردود.

فقد رتب فرعون اتهاماته المنفرة من موسى – عليه السلام– ترتيباً تصاعدياً وفقاً لحجم التبشيع:

– بدأ بالتذكير بالتربية ليشنع على موسى – عليه السلام – بإنكار الجميل (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) [الشعراء: 18].

– وثنى بالتذكير بطول مكث موسى معهم لينكر الرسالة (ولَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) [الشعراء: 18].

– وثلث بالتذكير بقتل القبطي ليزيد من التشنيع (وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ) [الشعراء: 19].

– وأخيراً وصفه بالكفر ليرفض دعوى الإيمان بالله الواحد (وأَنتَ مِنَ الكَافِرِينَ) [الشعراء: 19].

غير أن موسى – عليه السلام– رتب ردوده ترتيباً تنازلياً؛ فبدأ بالأهم ثم المهم:

– بدأ بقتل النفس وبرره بخطأ المرحلة لا بعمد القتل (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) [الشعراء: 20] ولست من الكافرين.

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير 115/19.

– ذكر ملابسات الرسالة (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ) [الشعراء: 21].

– ثم ختم بما بدأ به فرعون ليجعل تربية فرعون له تتضاءل مع مقارنتها بجرائمه (وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 22].

(قَالَ فِرْعَوْنُ ومَا رَبُّ العَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ (24)) [الشعراء: 23، 24].

سأل فرعون بـ "ما" التي هي للماهية، كما ذهب بعض المفسرين[1]، وهو سؤال عن جنس الشيء، قصد به فرعون إثارة الشبهات حول ذات الله.

"والظاهر أن سؤاله إنما كان على سبيل المباهتة والمرادة، وكان عالماً بالله، ويدل عليه: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ وإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) [الإسراء: 102] واستفهم بـ "ما" استفهاماً عن مجهول من الأشياء"[2].

وفي هذا خرق من جهة "الكيف" إذ سأل عن شيء يعرفه، وقصد بذلك التشكيك.

وكان جواب موسى – عليه السلام – بياناً لحقيقة رب العالمين بما يصير وصفه برب العالمين نصاً لا يحتمل غير ما أراده من ظاهره، فأتى بشرح اللفظ بما هو تفصيل لمعناه؛ إذ قال (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا

(1) ينظر: البحر المحيط 12/7، اللباب 18/15.

(2) أبو حيان، البحر المحيط 12/7 بتصرف.

بَيْنَهُمَا .....) ومرجع هذا البيان إلى أنه تعريف لحقيقة الرب بخصائصها؛ لأن ذلك غاية ما تصل إليه العقول في معرفة الله، أن يعرف بآثار خلقه، فهو تعريف رسمي في الاصطلاح المنطقي"[1].

لأن التفكر في الخلق يحصل به العلم بوجه دلالته على الخالق سبحانه وتعالى.

"ولما كان الخالق سبحانه وتعالى منزهاً عن مشاكله الأجناس كان سؤال فرعون فاسداً، فرده موسى – عليه السلام – إلى منهاج العلم بالله– تعالى–: (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا) وأحاله على النظر في المصنوعات الدالة على ما يجب لصانعها سبحانه، وما يستحيل في حقه"[2].

وإجابة موسى – عليه السلام – من قبيل الأسلوب الحكيم[3]؛ إذ حمل سؤال فرعون على غير مراده.

وفيه خرق لمبدأ "المناسبة".

(قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25].

لم يحر فرعون جواباً فعمد إلى مشاركة الحضور؛ لأنه لم يستطع أن يقرع الحجة بالحجة، فالتمس في الحضور عوناً.

* وفي التفاتته هذه خرق من جهتين:

1. من جهة "المناسبة"؛ لأن تحوله بإشراك الجمهور ليس بالرد المناسب على كلام موسى.

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير 117/19.

([2]) السكوني، أبو علي عمر، عيون المناظرات، ت. سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية 1976، ص85.

([3]) الأسلوب الحكيم: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهاً على أنه الأولى بحاله "ينظر: بغية الإيضاح 120/1.

2. ومن جهة الكيف"؛ لادعائه عدم المعرفة بذلك، وقد كان عالماً به. وإنما ذكر ذلك لا أقول على سبيل التعجب – كما قال الرازي[1]؛ بل ليوهم التعجب، وكأنه يموه على الناس بأن ما يسمعه غريب وعجيب.

وعدل موسى – عليه السلام – من استراتيجيه حواره مستفيداً من إشراك فرعون لجمهور الحضور فأجابهم: (قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) [الشعراء: 26].

وفي ذلك خرق من جهة "الملائمة"؛ لأن التعجب لم يتم لموسى – عليه السلام – ولم يكن يعنيه فرعون، ولكن اغتنمه موسى – عليه السلام– ليبرز مظهراً حجاجياً جديداً لربوبية الله، فاغتاظ فرعون فسب وسفه؛ إذ قال: (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27].

يعني فرعون أن المقصود من سؤال "ما" طلب الماهية وخصوصية الحقيقة. والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد ألبته تلك الخصوصية، فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون، لا يفهم السؤال فضلاً عن أن يجيب عنه"[2].

لا يزال فرعون يموه على قومه ليأخذوا موقفاً رافضاً من دعوة موسى – عليه السلام – فهو يسميه رسولاً تهكماً وسخرية، ويضيفه إليهم (رَسُولَكُمُ) ترفعاً من أن يكون مرسلاً إلى فرعون نفسه.

وجملة (الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) تؤكد التهكم، ولاسيما مع بناء الفعل للمجهول (أُرْسِلَ).

([1]) الرازي، محمد فخر الدين ابن ضياء الدين عمر، مفاتح الغيب، دار الفكر، الطبعة الولى، 1401هـ، 1981م، لبنان، بيروت، 129/24.

([2]) الرازي، مفاتح الغيب 129/24.

واعتماد فرعون على المؤكدات السابقة فضلا عن التوكيد بـ (إنَّ) ولام الابتداء (لَمَجْنُونٌ)

يشعر المتلقي بجهد مبذول من فرعون ليقنع الجمهور بذلك، كما يشعر المتلقي بأن القوم لا يعتقدون بجنون موسى – عليه السلام – كما يزعم فرعون.

وفي كلام فرعون خرق للحوار من جهتين:

1. من جهة الطريقة؛ لأنه استخدم أسلوب أطول مما ينبغي (إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)" وقصد بذلك تهييج المستمعين وإثارتهم كيلا يتأثروا، أو يتأثر بعضهم بصدق موسى – عليه السلام– "[1].
2. من جهة الكيف؛ لأن فرعون رمى موسى– عليه السلام – بشيء– هو يعرف – بأنه ليس فيه، ففرعون على يقين بأن موسى – عليه السلام – ليس بمجنون، ولن يستطيع أن يقنع الناس بجنونه.

وكثره توكيداته دليل إفلاسه.

ولكن موسى – عليه السلام – لم يبال ببهتان فرعون؛ بل عمد إلى ذكر دليل ثالث (قَالَ رَبُّ المشْرِقِ والْمَغْرِبِ ومَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) [الشعراء: 28].

"فعدل إلى طريق ثالث أوضح من الثاني، وذلك أنه أراد بـ (المشْرِقِ) طلوع الشمس وظهور النهار ، وأراد بـ (الْمَغْرِبِ) غروب الشمس ...

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 120/19.

وهذا بعينه طريقة إبراهيم – عليه السلام – مع نمروذ كنعان ، فإنه استدل أولاً بالإحياء والإماتة، وهو الذي ذكره موسى – عليه السلام – ههنا بقوله: (رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) فأجابه نمروذ كنعان بقوله: (أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ) [البقرة: 258] فقال: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المغْرِبِ)[البقرة: 258] وهو الذي ذكره موسى – عليه السلام – ههنا بقوله: (رَبُّ المشْرِقِ والْمَغْرِبِ)"[1].

وفي رد موسى – عليه السلام – تجاهل لسفاهة فرعون؛ لأنه أراد تكميل حجاجه وإقناعهم.

وفي تجاهله – عليه السلام – لسفاهة فرعون خرق من جهة الملائمة؛ إذ كان المناسب لظاهر الحوار أن يدفع عن نفسه شبهة الجنون؛ لكنه أجاب بما يقنع، وفي نفس الوقت ترجم عملياً أنه ليس بمجنون.

وفي إجابته زيادة لم تطلب منه، وهذا خرق لمسلمة الكم.

وقوله: (إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) فيه تلميح بإثارة عقولهم ليتفكروا، ويستبينوا حقيقة الأمر، ويحكموا بإنصاف على الرجلين موسى – عليه السلام – وفرعون– فأيهما أحق بالجنون؟.

"وارتكب – عليه السلام – الخشونة، كما ارتكب معه بقوله: (إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)"[2].

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف قال أولاً: (إن كُنتُم مُّوقِنِينَ) وأخراً: (إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)؟ قلت: لاين أولا، فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد، وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض: (إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) بقوله: (إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)"[3].

([1]) الرازي، مفاتح الغيب 129/24.

([2]) الألوسي، روح المعاني 97/10.

([3]) الزمخشري، الكشاف 110/3.

فكان رد موسى – عليه السلام – إفحاماً لفرعون، وإعلاناً لهزيمته أمام قومه في المناظرة المنطقية، فهدد فرعون وتوعد (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) [الشعراء: 29].

قوله: (لَئِنِ اتَّخَذْتَ ....) يستخدم فرعون أداة الشرط "إن" ليشكك في إمكانية أن يكون لموسى – عليه السلام – إله غير فرعون، أو يحاول أن يموه على القوم بذلك.

وفي ذلك خرق لمسلمة "الكيف" فموسى – عليه السلام – يعبد الله وحده، ويدعو فرعون وقومه لعبادته.

وقوله: (لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) بدلاً من "لأسجننك" خرق لمسلمة "الوضوح أو الطريقة".

قال الزمخشري: "فإن قلت: ألم يكن: لأسجننك أخصر من (لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) ومؤدياً مؤداه؟ قلت: أما أخصر فنعم، وأما مؤد مؤداه فلا؛ لأن معناه؛ لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني. وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع. فكان ذلك أشد من القتل"[1].

اتجه فرعون ليستخدم السلطة بدلاً من المنطق، والقوة بدلاً من الحجة (لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ).

ويتجاهل موسى – عليه السلام – غلظة فرعون وخشونته وتهديده ووعيده، ليعرض عليه بلطف حجة عملية، وآية حسية لعلهم يرشدون (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) [الشعراء: 30].

([1]) الزمخشري، الكشاف 110/3.

وهو عرض رقيق لطيف أثمر موافقة فرعون، وهو مطلوب موسى – عليه السلام – فقال: (فَأْتِ بِهِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: 31].

وموافقة فرعون جاءت لثلاثة أسباب:

1- حسن عرض موسى – عليه السلام-.

2- إحساس فرعون بالحرج أمام قومه.

3- شعوره بأن موسى – عليه السلام – لن يستطيع، يدل على ذلك استخدامه لأداة الشرط "إن" التي تستخدم في الشرط غير المقطوع، فالأصل في استعمالها ألا يكون الشرط فيها مقطوع بوقوعه"[1].

ولربما غلب على فرعون الإحراج فوافق وهو يعلم أن موسى – عليه السلام – صادق، ومن ثم يكون هنا خرق لمسلمة "الكيف".

وهنا يكشف موسى – عليه السلام – عن معجزتيه المادتين (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (32) ونَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)) [الشعراء: 32، 33].

(1) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب 1999م- 1924هـ 141/1.

ب) المنزع الحجاجي للاستلزام الحواري

الاستلزام الحواري لا ينشأ في فراغ؛ وإنما يتواجد حيث، يتجاذب طرفان أو عدة أطراف الحديث، وهو مرتبط عند (جرايس) بنظرية "المحادثة".

ومن خلال تتبع نشأته تظهر العلاقة الوثيقة بين الحجاج والحوار؛ إذ ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها (جرايس) HPGrise في جامعة هارفارد سنة 1967 ..... وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات سنة 1975 في بحث له يحمل عنوان: "المنطق والحوار" (Logic and Conversation)[1].

والحوار يقوم أساساً على مبدأ "التعاون" (Co-operative).

"فالحوارية تقوم إذن على مبدأ التعاون مع الغير في طلب الحقائق والحلول، وتحصيل المعارف، واتخاذ القرارات، وفي التوجه بها إلى العمل"[2].

"ولفظ الحجاج كان مرادفاً عند القدماء للجدل[3]، وموضوع نظرية الحجاج عند (برلمان وتيتيكان) هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[4].

([1]) ينظر: نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص32.

([2]) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الناشر المركز الثقافي العربي، طبعة ثانية، ص37.

([3]) عبد الله صوله، الحجاج في القرآن، دار الفارابي، بيروت، ط: ثانية 2007، ص14.

([4]) السابق، ص27.

"وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ..... وهو أيضاً جدلي؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البيانات البرهانية الضيقة"[1].

والحجاج الفلسفي التداولي هو فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض، أو بطلان الرأي المعترض عليه استناداً إلى مواضعات البحث عن الحقيقة الفلسفية"[2].

والاستلزام الحواري حاضر بقوة في هذا التناظر الحجاجي بين موسى – عليه السلام – وفرعون. وقد كان آلية واضحة للإقناع عند الطرفين، كما رأينا.

"وتتعدد نظريات الحجاج تبعاً للعلاقة الرابطة بينه وبين التداولية؛ إذ نجد ثلاث اتجاهات رئيسة لدراسة الحجاج في البحوث التداولية: اتجاه منطقي، واتجاه لساني، واتجاه محادثي تحاوري[3].

والحوار بين موسى – عليه السلام — وفرعون نموذج للحجاج التنازعي الذي يستفيد فيه كل طرف من تطويع إمكانات اللغة لتحقيق الإقناع والتأثير.

وتصبح اللغة وآلياتها وسيلة فعالة من وسائل النضال والكفاح، وتبدو معها فرحة النصر وانكسار الهزيمة، وحيوية الثورة، وحرارة الفكرة.

([1]) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، ص65.

([2]) السابق، ص66.

([3]) ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص17، وما بعدها.

فهي الأداة في إقامة الحجة، ودفع الشبهة، واستماله المخاطبين.

وفي الخطاب التنازعي "تتحول الإجابة إلى خطاب تنازعي جديد؛ لأن الضحية لن تظل ساكتة؛ بل ستعمل على الإجابة على المهاجم، خاصة إذا كان ذلك بحضور الشهود؛ لأن الصمت يضفي طابع الحق على خصمه"[1].

ولقد حدد (أرسطو) ثلاث دعائم للإقناع:

الدعامة الأولى: تعتمد على الصفات الشخصية للمتكلم.

والثانية: تعتمد على تهيئة الجمهور لسماع الكلمة.

أما الثالثة: فيكون اعتمادها على البرهان الظاهر من خلال تقديم المحاضرة[2].

يرى (هوفلاند) وزملاؤه أن أي رسالة كي تكون مؤثرة ومقنعة يجب أن تكون مفهومة وواضحة ومسموعة[3].

وهذا ما جعل موسى – عليه السلام – يبحث عن استكمال الأدوات قبل المناظرة. حين ألقى بمخاوفه بين يدي ربه: (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (12) ويَضِيقُ صَدْرِي ولا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ (13)) [الشعراء 12، 13].

([1]) عمر بلخير، معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989-2000، ص216.

([2]) علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط أولى، 1414هـ، 1994م، ص22.

([3]) علي رزق، أساليب الإقناع، ص98.

وقد فصلت سورة "طه" وفيها صريح العطاء: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) ويَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) واحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) واجْعَل لِّي وزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَرُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) ونَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36)) [طه: 25: 36].

وأما عن تهيئة الجماهير فقد جاءت بعد أن أشركهم فرعون في الحوار، وخاطبهم موسى – عليه السلام –: (قَالَ رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) [الشعراء: 26].

أما تقديم المناظرة فيعتمد بشكل رئيس على إستراتيجية موسى — عليه السلام – الحجاجية.

يقول (ولش) Uli Welndich: "لابد أن يعتمد المرسل على بعض الاستراتيجيات في خطابه، منها:

1- عدم الاعتماد على الخطاب المنقول.

2- اعتماد النفي والدحض لكل طروحات الخصم.

3- السخرية من الخصم والانتقاص من قدره وشخصه أمام الغير، مع إظهار الجدية في الطرح والمعارضة.

4- إشعال حرب خفية ضد الخصم، وذلك بتأليب الرأي العام، وتمويه الجماهير وشحنها ضده"[1].

([1]) Uli Welndich: Lek.O.Verbal: P.68

والإستراتيجية الحجاجية إستراتيجية يرمى من ورائها المرسل" إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي"[1].

وما ذكر (ولش) وجدنا ما صدقه عند الطرفين، ونزيده وضوحاً بذكر إستراتيجية كل طرف على حدة.

أولاً: إستراتيجيات موسى – عليه السلام – الحجاجية في الحوار:

اعتمد موسى – عليه السلام – على مجموعة استراتيجيات يمكن إجمال أبرزها في نقاط:

1- القول اللين

استجابة لأمر الله: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: 44].

"والقول اللين الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق، ويميز به بين الحق والباطل، مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب وتجهيله"[2].

واللين حقيقته في الماديات، ولكنه استعمل ههنا في المعنويات على سبيل الاستعارة المكنية، فدل على حسن المعاملة والصفح.

وقد كان موسى – عليه السلام – ليناً مع مخاطبة فرعون:

– وجه إليه الدعوة ترغيباً لا ترهيباً (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 16، 17] فلم يعرض لادعاء إلوهية فرعون، ولم يتحدث عن العقوبة المنتظرة لرفضه.

([1]) هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيمائي لتحليل النص، تر: محمد العمري ،إفريقيا الشرق ، المغرب، 1999 ص64.

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/16.

ربط رسالته بتحرير بني إسرائيل من العبودية: (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 17]

التعريض لا التصريح: عرض موسى – عليه السلام – بنفي الربوبية عن فرعون حين قال: (رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ) فإضافة (رَبِّ) لـ (العَالَمِينَ) فيه رد على دعوى فرعون: (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) [النازعات: 24]، وأن فرعون مربوب لله تعالى.

2- إعطاء الخصم حقه:

فقد اعترف بنعمة فرعون عليه بتربيته (وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ)[الشعراء: 22]، على قول من جعل اسم الإشارة (تِلْكَ) راجع إلى التربية المفهومة من قوله: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) [الشعراء: 18][(1)].

وفيها من ألوان البديع القول بالموجب؛ حيث قلب موسى – عليه السلام – مقصد فرعون، فجعل نعمته نقمة[(2)].

3- إسناد الفضل لله:

وذلك في قوله: (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ) [الشعراء: 21].

فهو ينزع عن نفسه أي مزية في ذلك، ويرد الفضل لله؛ ليعلم فرعون بأن الله المهيمن على الكون وحركة العباد، ولا يستطيع أحد أن ينفع، أو يضر إلا بإذنه، كما أنه يغري فرعون – من طرف خفي – بإحسان الله له إن آمن به.

([1]) ينظر الألوسي، روح المعاني 91/10.

([2]) القول بالموجب له ضربان: أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء، أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له، أو انتفائه عنه، كقوله تعالى: (لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) [المنافقون: 8].

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده، مما يحتمل بذكره متعلقة، كما ههنا. ينظر: بغية الإيضاح 61/4.

كما أن فيه حجاجاً لأحقية الله بالإلوهية.

4- الإقرار بالخطأ إن وقع:

اعترف موسى – عليه السلام – بقتل القبطي خطأ: (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) [الشعراء: 20].

فأقر بالقتلى، واعتذر بالجهل، وأنكر الكفر.

5- استمالة الجماهير:

وذلك بإظهار إشفاقه على بني إسرائيل؛ حيث قصد تخليصهم من الرق: (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 17].

وأشركهم في الحوار مستفيداً من إشراك فرعون لهم – قبل ذلك — حين قال فرعون: (أَلا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25] فبعد أن كان يخاطب فرعون وحده بضمير الخطاب المفرد (رَبَّكَ) أشرك الجمهور باعتماد ضمير خطاب الجمع، فأصبح يقول: (رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) [الشعراء: 26].

وذكرهم بربوبية الله تعالى لهم، ولآبائهم من قبل: (رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) [الشعراء: 26].

وفي كلمة الرب ظلال رخية، وعواطف ندية، تثير عقولهم للتفكر في عطاء الله تعالى، فيقدموا الشكر لا النكران، والإيمان لا الكفران.

6- تحاشي المواجهة الخشنة:

ظهرت فطنة موسى – عليه السلام – حين تجاهل سفاهة فرعون، وأبطل مخطته حين ترك التلاسن معه، وتفرغ لإظهار الحجة، ودحض الشبهة، ونشر الفكرة.

- شنع فرعون عليه بالقتل، وأعترف موسى – عليه السلام – به، وبرره إن كان خطأ في مرحلته.
- عيره بتربيته له، وأظهره في موقف الناكر للجميل؛ لكن موسى – عليه السلام – اعترف بالنعمة، وأبرزها في صورة ضئيلة، إذا قورنت بجرائم فرعون (وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إسْرَائِيلَ) [الشعراء: 22]؛ بل وقلبها عن وجهها الذي أراده فرعون، فجعلها موسى – عليه السلام – تذكيراً بآثام فرعون، ومنها قتل الأبناء، الذي دفع أمه لتلقي به صغيراً في اليم ليربيه فرعون.
- رماه فرعون بالجنون، ولم يرد موسى – عليه السلام – عليه: (إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27].
- توعده بالسجن، وموسى – عليه السلام – لم يبال به؛ بل كان مشغولاً بإقامة الحجة لهدايتهم: (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (30)) [الشعراء: 29، 30].

7- التدرج في الحجة (السلم الحجاجي):

لقد ساق موسى – عليه السلام – مجموعة من الأدلة لإقناع فرعون وقومه، وتدرج في عرضها، فبدأ بالقوي، ثم الأقوى، في إطار ما يعرف بالسلم الحجاجي، وتعريف السلم أنه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين الآتيين:

– كل قول يقع في مرتبة من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى[1].

ويمكن تمثيل حجاج موسى – عليه السلام – حسب درجة قوتها في الشكل التالي:

هـ- (أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) [الشعراء: 30].

د- (رَبُّ المشْرِقِ والْمَغْرِبِ ومَا بَيْنَهُمَا) [الشعراء: 28].

ج- (رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) [الشعراء: 26].

ب- (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا) [الشعراء: 24].

أ- (رَبُّ العَالَمِينَ) [الشعراء: 23].

(1) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ص105.

فبدأ موسى – عليه السلام – حواره بأنه رسول رب العالمين، ثم تدرج في الحجاج المظهر لإثبات الإلوهية لله ونفيها عن فرعون، فهو – سبحانه – رب السماوات والأرض ...، ورب الأولين والآخرين، ورب المشرق والمغرب ...

ثم انتقل موسى – عليه السلام – من الحجة القولية إلى الحجة العلمية (أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) [الشعراء: 30].

*** الحضور الفعال للاستلزام الحواري**:

كان الاستلزام الحواري "خرق المسلمات الأربع لفائدة" آلية واضحة من آليات موسى – عليه السلام – في حجاجه:

إذ خرق "الملائمة" في:

أ) ترتيب ردوده على شبهات فرعون (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) [الشعراء: 18]

ب) في إجابته على سؤال فرعون (وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ) [الشعراء: 23]

ج) في تحاشي خشونة فرعون حين وصفه بالجنون وهدده بالسجن ...

وخرق الطريقة أو الجهة:

وذلك بإضافته ملابسات الإرسال، وهو يفند شبه فرعون (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ) [الشعراء: 21]

وخرقه مبدأ "الكم" حين زاد في إجابته:

أ) (إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) [الشعراء: 24]

ب) (إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) [الشعراء: 28]

ج) (رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) [الشعراء: 26]

د) (رَبُّ المشْرِقِ والْمَغْرِبِ ومَا بَيْنَهُمَا) [الشعراء: 28]

..... الخ

ثانياً: إستراتيجية الحجاج عند فرعون:

اعتمدت إستراتيجية فرعون في مواجهة موسى – عليه السلام – على :

أ– التشكيك في المصدر عبر الاستفهام:

فقد كانت وسيلة فرعون في التشكيك السؤال (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا ولِيدًا) [الشعراء: 18] (ومَا رَبُّ العَالَمِينَ) [الشعراء: 23] (أَلا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25].

"وعلى هذا النحو ندرك خطورة طرح الأسئلة في الخطاب؛ إنها وسيلة هامة من وسائل الإثارة، ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح. هذا الموقف يحدده المتكلم بقرائن ومواد اختيارية تحضر في السياق، وتقود عملية الاستنتاج المتصلة بالسؤال المطروح"[1].

([1]) د/ سامية الدرديري، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، طبعة أولى، 1428هـ، 2008م، ص141.

وذلك لأن السؤال يمكن أن يضمن معاني مغالطية توقع الخصم في شراك السائل فيهزم، يقول (برلمان): "حينما يضمن السائل سؤاله بجملة من الافتراضات يكون قد أجبر المسئول في اللحظة ذاتها على الإجابة وفق تلك الافتراضات"[1].

وهو ما فعله فرعون، غير أن موسى – عليه السلام – لم يقع فيه.

فقد واجه موسى – عليه السلام – بتربيته له، وبمكثه عندهم، وشنع عليه بقتل القبطي، ووصفه بالكفر قال: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الكَافِرِينَ (19)) [الشعراء: 18، 19]

يريد أن يكون لدى الجمهور موقفاً سلبياً من حامل الرسالة، ومن ثم رفض الرسالة والرسول.

إذ كيف يتبع الناس رجلاً بهذه الأخلاقيات. وقد أوهم فرعون الجمهور بأن هذا حق مسلم به، بارتكازه على الاستفهام التقريري، وهو يعلم بأن موسى – عليه السلام – لن يكذب.

ثم شكك فرعون في أصل الدعوة حين سأل: (وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ) [الشعراء: 23] يريد: أي شيء رب العالمين؟ وهذا السؤال لا يخلو:

إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت، وعرفت أجناسها ..... وإما أن يريد به: أي شيء هو على الإطلاق، تفتيشاً عن حقيقته الخاصة ما هي؟[2].

ثم تساءل معجباً قومه من إجابة موسى: (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25].

([1]) برلمان، الخطابة الجديدة 177/1.

([2]) الزمخشري: الكشاف 109/3.

2- **الحجاج المغالط، وتجاهل الحقائق**:

قد يتخذ الحجاج مساراً غير منطقي، يغيب عنه العقل، ويحضر فيه المواربة والتمويه والعنف، وذلك في الحجاج المغالط.

ويعرفه (فيليب بروتون) Philippe Breton بأنه: فعل عنيف ومكره يسلب حرية الآخر لإخضاعه، وهو بمثابة كذب منظم، يتوخى منه تغليظ الآخر"[1].

والناظر في حجاج فرعون يلحظ اتكاءه على الاستلزام الحواري، إذ خرق مسلمة "الملائمة" في:

أ- تجاهل دعوة موسى- عليه السلام- بأنه رسول، وبأن الله رب العالمين.

ب- تجاهل طلبه أن يرسل معه بني إسرائيل، وبدلاً من أن يناقش ذلك غالط، فذكر موسى – عليه السلام – بقوله: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) [الشعراء: 18].

ج- المغالطة في السؤال: (ومَا رَبُّ العَالَمِينَ) [الشعراء: 23].

د- لما عجز عن مقارعة الحجة بالحجة لجأ إلى السخرية والتسفيه والتهديد: (أَلا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25]، (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27]، (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ) [الشعراء: 29].

كما خرق مسلمة "الكم والملائمة" للتشويش على موسى – عليه السلام – (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا .....) [الشعراء: 18].

([1]) محمد الداهي، التواصل بين الإقناع والتطويع، مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته؛ عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط أولى، 1431هـ، 2010م، ص261.

كما خرق مسلمة "الكيف" بوصفه (وأَنتَ مِنَ الكَافِرِينَ) [الشعراء: 19].

وبتعجيب قومه: (أَلا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25] وبافتراض أنه الإله الذي يعبد (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) [الشعراء: 29].

كما خرق مسلمة "الجهة" حين أراد وصف موسى – عليه السلام – بالجنون (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27]، وحين توعد موسى – عليه السلام – وهدده (لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) [الشعراء: 29] .... الخ.

3- إشراك الجماهير وإظهار الشفقة عليهم:

- أظهر الشفقة عليهم حين ذكر موسى – عليه السلام – بقتل القبطي، محاولاً أن يظهر نفسه في موقف المتألم لقتل واحد منهم، وهو من كان يذبح الأبناء بلا شفقة !!!
- وأشركهم حين أعوزته الحجة فقال: (أَلا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25]، (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27]، فجعلهم معنيين بالخطاب.

4- حجاج السلطة والسطوة:

إذ أفلس فرعون في ميدان المناظرة، ولم يجد ما يثبت به دعواه، ويفند حجاج موسى – عليه السلام – فلجأ إلى التهديد بالسجن بعد السب والرمي بالجنون (قال لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) [الشعراء: 29].

5- محاولة إخراج الخصم عن شعوره، وجره لمعركة جانبية:

اجتهد فرعون في ذلك، فقد ذكر موسى – عليه السلام – بالتربية، وقتل القبطي ....، وسخر من موسى – عليه السلام – ووصفه بالجنون (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27]، وتوعد بالسجن.

محولات متعددة لإثناء موسى – عليه السلام – عن هدفه، أو جره لمعركة جانبية ينتقم فيها لنفسه، وينسى دعوته ورسالته، ولكن فرعون لم يفلح.

6- الفضح والتشهير:

استخدم فرعون أسلوب الفضح والتشهير بموسى – عليه السلام – لينتقصه، ويدفع قومه للإعراض عنه.

- أظهره في موقف الناكر للجميل (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا .....) [الشعراء: 18].
- شنع عليه بقتل القبطي (وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ...) [الشعراء: 19].

"وفي العدول عن ذكر فعلة معينة إلى ذكرها مبهمة مضافة على ضمير، ثم وصفها بما لا يزيد عن معنى الموصوف تهويل مراد به التفظيع، وأنها مشتهرة معلومة، مع تحقيق تبعاتها به حتى لا يجد تنصلاً منها"[1].

- وصفه بالكفر (وأَنتَ مِنَ الكَافِرِينَ) [الشعراء: 19].
- السخرية منه، ووصفه بالجنون (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير 112/19.

7- قبول التحدي:

حين عرض موسى – عليه السلام – عليه الحجة عملية – بعد أن أفلس فرعون في المحاجة العقلية – قبل فرعون ذلك، وقال: (فَأْتِ بِهِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)

ويمكن أن يمثل سلم حجاج فرعون بهذا الشكل:

ز– (قَالَ فَأْتِ بِهِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: 31].

و– (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) [الشعراء: 29].

هـ– (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27].

د– (قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25].

ج– (قَالَ فِرْعَوْنُ ومَا رَبُّ العَالَمِينَ) [الشعراء: 23].

ب– (وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وأَنتَ مِنَ الكَافِرِينَ) [الشعراء: 19].

أ– (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا ولِيدًا ....) [الشعراء: 18].

وشائج بين الحجاجين

المتأمل في حجاج الطرفين موسى – عليه السلام – وفرعون اللعين يلحظ سمات مشتركة في استخدام الأدوات.

1- الحجاج بالتاريخ:

أ) استخدمه موسى –عليه السلام – معضداً لدعوته لربوبية الله: (قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) [الشعراء: 26].

اعتبر الألوسي هذا الحجاج أقوى من الذي قبله؛ وذلك لأن الحدوث والافتقار إلى واجب مصور حكيم في المخاطبين وآبائهم الذين ذهبوا وعدموا أظهر، والنظر في الأنفس أقرب وأوضح من النظر في الآفاق[1].

وفيه تنبيه لهم على منشئهم ومنشئ آبائهم، وجاء في قوله: (الأَوَّلِينَ) دلالة على إماتتهم بعد إيجادهم، وانتقل من الاستدلال بالعام (خلق السماوات والأرض وما بينهما) إلى ما يخصهم ليكون أوضح لهم في بيان بطل دعوى فرعون الإلهية؛ إذ كان آباؤهم الأولون تقدموا فرعون في الوجود، فمحال أن يكون وهو في العدم إلهاً لهم[2].

ب) واستخدم فرعون الحجاج بالنسخ ليحرج موسى، وليظهره في موقف الناكر للجميل، وليشنع عليه بالقتل (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الكَافِرِينَ (19)) [الشعراء: 18، 19].

(1) الألوسي، روح المعاني 95/10.

(2) أبو حيان، البحر المحيط 13/7 بتصرف.

2- **استخدام أسلوب الاستفهام**:

أ) أستخدمه موسى – عليه السلام – في موقفين:

حين أراد أن يبرز جرم فرعون، ويبشعه للحاضرين، مرتكزاً على النبر في تحقيق الاستفهام الإنكاري (وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 22].

– وحين أراد أن ينتقل من الحجة العقلية المنطقية إلى الحجة العملية فاستخدم الاستفهام المشروط ليعرض على فرعون أن يأتيه بحجة أخرى: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) [الشعراء: 30].

الواو للحال، وهمزة الاستفهام داخلة على فعل محذوف، وتقدير العبارة: أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين ؟

و "لو" لبيان تحقيق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له؛ ليظهر تحققه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية، أي: أتفعل في ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين، وحال مجيئي به ؟

وتصدير المجيء بـ "لو" "دون" "إن" ليس لبيان استبعاده في نفسه؛ بل بالنسبة إلى فرعون[1].

فأداة الشرط أعطت دلالتين:

الأولى: نزع يد فرعون عن سجن موسى – عليه السلام – وذلك بافتراض الأبعد، وهو عدم مجيئي بشيء، فكيف لو جئتك بشيء مبين.

([1]) ينظر: الألوسي، روح المعاني 98/10.

وتنكير "شيء" للتهويل ليلقي في نفس فرعون الرعب.

الثاني: دلالة "لو" على الاستبعاد لما فيها من معنى الامتناع. لكن استيعاب المجيء بالمعجزة ليس راجعاً إلى موسى – عليه السلام – بل هو راجع إلى فرعون، بقرينة استخدام فرعون التشكيك بـ "إن" في قوله: (قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: 31][1].

([1]) السابق.

ب) واستخدام فرعون الاستفهام في ثلاثة مواقف:

- في دفع موسى – عليه السلام – للإقرار بتربية فرعون، وقتل النفس ... (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)) [الشعراء: 18، 19].
- حين سأل عن ربط العالمين بـ "ما" التي لحقيقة الماهية (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء: 23] فسأل بـ "ما" عن حقيقته، وإنما أراد في الحقيقة إنكاره[1].
- وحين أراد الهروب من إفحام موسى – عليه السلام – له، وذلك بإشراك الحضور في الحوار، وتعجيبهم من إجابة موسى – عليه السلام – (قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ) [الشعراء: 25].

أعرض فرعون عن خطاب موسى – عليه السلام – فاستفهم استفهام تعجب من حالهم كيف لم يستمعوا ما قاله موسى – عليه السلام – فنزلهم منزلة من لم يستمع؛ تهييجاً لنفوسهم كي لا تتمكن منهم حجة موسى – عليه السلام–"[2].

ومن عجيب مكر فرعون أنه حذف المفعول، وهو مقول موسى – عليه السلام – لأنه يريد التعجيب من شخص موسى – عليه السلام – قبل قوله؛ لأنهم إذا رفضوا موسى رفضوا قوله.

([1]) البقاعي، نظم الدرر 355/5.

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير 118/19.

3- **استخدام أداة الشرط (إن)**:

أ) استخدمه موسى – عليه السلام – مرتين؛ لإثارة قومه، وتحفيزهم على التفكر والتيقن (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ) [الشعراء: 24] وقال: (قَالَ رَبُّ المشْرِقِ والْمَغْرِبِ ومَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) [الشعراء: 28].

"إن" تفيد عدم القطع بالجواب، فهل كان يغلب على ظن موسى – عليه السلام – عدم انتفاعهم بما يذكر من الآيات؟ أم أنه أراد أن يحفزهم، ويستنهض همتهم ليتداركوا حالهم، فينتقلوا من حال السكون واللامبالاة إلى التفكر ؟

الثاني أرجح، وبالمرسلين أليق.

ب) واستخدمه فرعون مرتين للتمويه على الناس بأن ليس لموسى – عليه السلام– رب غير فرعون وذاك قوله: (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المسْجُونِينَ) [الشعراء: 29].

كما استخدمه في التشكيك في قدرة موسى – عليه السلام – أن يأتي بالمعجزة الحسية: (قَالَ فَأْتِ بِهِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: 31].

خاتمة

بات واضحاً أن التداولية بآلياتها تملأ فراغاً تسبب فيه انغلاق البنيوية، ولا معنى لدراسة نص بعيداً عن مقصدية صاحبه، وأن ملاحظة اللغة في أثناء الاستعمال ضرورة في تحليل الخطاب، والكشف عن عناصر التأثير فيه.

ونظريه المحادثة إحدى قضايا التداولية التي أسس لها (جرايس)، وصاغ مبدأها وما يتفرع عنه من مسلمات في إطار ما يعرف بالحوار المثالي.

وخرق مسلمات الكم والكيف والملائمة والطريقة ينتج عنه الاستلزام الحواري.

والاستلزام الحواري يلحظ ما بين أطراف الحوار من قوائم مشتركة، ويستظهر مخبوء كل طرف فيتوصل بما ذكر إلى معرفة ما حذف، ويتعرف بما قيل على ما لم يقل.

لا يظنن أحد أن المخالفين بلهاء لا عقل لهم ولا حجة عندهم؛ بل لهم عقول يستخدمونها في الباطل، ويثيرون الشبهات في وجه الحق حسداً من عند أنفسهم، ولولا الهوى لاتبعوا الحق قناعة ورضاً.

وبات واضحاً الدور القوي للاستلزام الحواري في الحجاج والإقناع، ورأينا كيف يكون آلية فعالة في إثارة الشبهة ودفع الحجة، أو إقامة الفكرة، والبرهنة عليها، وإلزام الآخر بها.

وأخيراً .... تبقى النظرية حلماً لا يتوقع، وأملاً محلقا لا يقع، حتى تتناولها يد فتحولها من التنظير إلى التطبيق، وقد كان هذا البحث محاولة لذلك من خلال التطبيق على نموذج قرآني (حوار موسى – عليه السلام — مع فرعون).

ودراسة الحوار في إطار السورة أجدى من جمعه مفرقاً في سور القرآن الكريم؛ لخصوصية السورة، واتساقاً مع موضوعها، واتفاقاً مع طريقة المعالجة.

وأرجو بذلك أن أكون قد حققت ما إليه قصدت.

د/ أحمد علي عبد العزيز يوسف

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، ط1، بيروت، 2003، دار الطليعة.
- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419، 1998م.
- ابن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب.
- الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت/ د. السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ، 2005م.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو حيان يوسف بن محمد ء البحر المحيط، ت. مجموعة من الأساتذة، دار الكتاب العلمية، ط1، 1422هـ/ 2001م، بيروت، لبنان.

- الرازي، محمد فخر الدين ابن ضياء الدين عمر، مفاتح الغيب، دار الفكر، الطبعة الولى، 1401هـ، 1981م، لبنان، بيروت.
- الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار الفكر.
- سامية الدرديري، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، طبعة أولى، 1428هـ، 2008م.
- السكوني، أبو علي عمر، عيون المناظرات، ت. سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية 1976.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 1406هـ- 1986م.
- الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، طبعة خاصة المجمع الثقافي، أبو ظبي.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الناشر المركز الثقافي العربي، الطبعة 2. (2000).
- عبد الله صوله، الحجاج في القرآن، دار الفارابي ، بيروت،ط: ثانية 2007.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، بيروت 2004.
- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب 1999م- 1924هـ.
- علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقاربة، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط أولى، 1414هـ، 1994م.

- عمر بلخير، معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989-2000، أطروحة دكتوراه – الجزائر.
- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط 2000.
- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط أولى 2007، سورية.
- محمد الداهي، التواصل بين الإقناع والتطويع، مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط أولى، 1431هـ، 2010م.
- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط أولى 2005.
- نحلة، محمود أحمد نحلة.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 2002 التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، دار التوني للطباعة والنشر، الإسكندرية 1987.
- نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة التراثية، مجلة اللغة والأدب، عدد 17.

- نواري سعودي، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.
- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيمائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.
- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، العدد السابع، 2011.
- يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر، العدد العاشر، 2014.